للكلمة . فالنصر يضعف الطاقة التي تضمن وحدة المجتمع ، ويدفع العناصر المجزئة ، التي لا تغيب أبدا ، الى أن تطفو على سطح الحياة وتسودها. هذا الديالكتيك ، ديالكتيك الصراع والنصر ، هو من الاسباب التي قدمهـا المؤرخون في تفسير صعـود وهبوط المجتمعات والحضارات المختلفة . فقد قيل مثلا أن انهيـار الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي ، يعود الى أنها كانت قد أخضعت تماما أعداءها . لا شك ان أسباب هذا الانهيار كانت عديدة ، ولكن هذا المفهوم يقول أن هـذه الاسباب أصبحت واضحة وادت الى نتيجتها المحتومة عندما لم تجد تلك الامبراطورية عدوا ما يرفعها فوق تناقضاتها الداخلية .

الوحدات القومية والطبقية تبرز للوجود وتؤكد ذاتها بفاعلية فقط اثناء الازمات والمخاطر الداخلية والخارجية التي تحيق بطبقة أو أمة ما . هذا الشعور الحاد بالوحدة ينكمش عند زوال الخطر والازمة ، وهو في الاوقات العادية يكون هامشيا لان الجماعات المختلفة تتحرك أثناءها تبعا لمصالحها الشخصية والمحلية .

التوحيد قد يجري في خدمة قصد واحد مباشر ، كانتصار في حرب معينة ، وبعد نجاحه أو فشله فيما يبغيه ، فان الوحدة التي انشأها لهذه المناسبة تنفرط ويرجع الفرقاء الى ما كانوا عليه قبل التوحيد ، أي الى كياناتهم السياسية المستقلة. هذا ما صنعته اليونان مثلا ، بعد أن تغلبت نهائيا على الخطر الفارسي . ولكن التجارب التاريخية تدل أيضا ان هذه الوحدات السياسية التي تنشأ في الصراع وفي خدمـة مقاصده ، تستمر بعد انتهاء دور القتال والحرب ، اذ تتميز آنذاك بمصالح ومقاصد جديدة ، وتعتمـد قوى توحيدية لا تختلف عن تلك التي انطلقت منهـا . ان مغزى الصراع الخارجي ، في هـذا الصعيد ، يكمن في الواقع ، في التعبير عن وحدة ممكنة أو ضمنية (Latent) . فهو لا يشكل قصدا للتوحيد ، بل بالاحرى ، فرصة مناسبة في تحقيق هذه الوحدة الممكنة ونقلها الى حيز الفعل .

العمل العربي الوحدوي الثوري لا يجد ضرورته المصيرية بسبب معركة التحرير ضد الاحتلال الصهيوني فقط ، او في كون العرب ، من الخليج الى المحيط ، يشكلون أمـة واحدة ، تبغي التعبير عن ارادتها في دولة واحدة ، بل هو يجدهـا في جميع مقاصدنا الثورية الجديدة ، التغلب على التخلف ، الانتصار على الامبرياليـة ، تحقيق التنمية الاقتصادية الفعالة والتصنيع الحـديث ، دخول القرن الواحـد والعشرين ، وتحقيق اشتراكية صحيحة . لهذا فان معركة التحرير لا تعني فقط قوة دفع زاخمة نحو الدولة الواحدة ، بل هي أداة تكشف عن قوى واتجاهات وحدوية كامنـة تدعو المعركة الى تفجيرها ، وتدفع الى هذا التفجير .

هذه الملاحظات التاريخية* تدل بشكل واضح على دور الصراع ضد عدو خارجي في توحيد المجتمعات المجزأة ، ومنها يمكن القول ان معركة تحرير فلسطين ضرورة أساسية في تحقيق المقصد الثوري الاول الذي يشرط كل مقصد آخر ويجعله ممكنا . فان كانت هذه المعركة غير موجودة وجب علينا خلقها .

هذا يكشف بوضوح عن الخطر الذي ينطوي عليه أي حل سلمي — هذا ان افترضنا امكانه — . فهو لا يعني خسارة فلسطين ، شطر الأمة العربية الى شطرين ، تشريد عرب فلسطين ، اذلالنا بشكل نهائي ، بل سد طريق الوحدة ، أي الطريق الى جميع مقاصدنا الثورية .

المقياس الوحدوي هو المقياس الاول الذي يتقدم على ويقاس به كل مقياس ، كل موقف ثوري آخر . فالعربي الثوري الذي لا يقيس جميع أعماله ومواقفه ، جميع تخطيطاته الاستراتيجية والتكتيكية بهذا المقياس الوحدوي ، يعثر الثورة، وهو ليس بثوري، او هو

---

* — راجع كتاب **الفعالية الثورية في النكبة** ، لكاتب المقال ، حول هذا الموضوع .